المدينة التي غرقت ...

[مرثية لبغداد الجديدة بعد الفيضان .]

وراء السداد التي ضمّدوا جرحها بالحصيرْ
وخلف صفوف الصرائف حيث يعيش الهجير

يسير طريقٌ تدثّر بالطين نحو المدينه
وأطلالها ، حيثُ بات يعيش اصفرارُ السكينه

وحيث الشوارع باتتْ وحولاً ومستنقعاتْ
وكانت تجيش وتزخر ساحاتها بالحياة

وكانت نهشّ وتضحك للشمس كلّ صباحْ
فباتت يعشّشُ فيها الدجى وصفير الرياح

وكانت منازلها المرحات تُلاقي القمر
بضحك نوافذها فاستكانت وصاح القدر

وجاء الخراب ومدّد رجليه في أرضها
وأبصر كيف تنوح البيوت على بعضها

وحدّق فيها وأصغى الى الصَرَخات الأخيره
لسقفٍ هَوَى وتداعى وشرفةِ حُبٍّ صغيره

وأرسل عينيه في نشوةٍ يرمق الأبنيه
وقد ركعت في هوانٍ ذليلٍ .. بلا مرثيه ..

وجاء الخراب وسار بهيكله الأسودِ
ذراعاه تطوي وتمسح حتى وعودَ الغدِ

وأسنانه الصُفْرُ تقضم باباً وتمضغُ شُرفه
وأقدامُهُ تَطَأ الوردَ والعُشْبَ من دون رأفه

وسار يرشُّ الرَدَى والتأكلَ ملء المدينه
يخرّبُ حيث يحلّ وينثرُ فيها العفونه

وفي الليل حين يجيءُ الشَذَى وضياءُ القمرْ
يهبّ الخرابُ ويضحك نشوانَ بين الحُفَرْ

ويرسل ضحْكته العصبيّةَ ملء الفضاءْ
فتنفر منه النجومُ ويثقُلُ مَسُّ الهواء

وتنمو الخشونةُ حيثُ يلامس وجهَ التوابْ
وتُنْبت اقدامُهُ طحلباً لَزِجاً وذباب

ويأتي الصباح فيختبيء الغول في مكمنِ
وتخفيه مستنقعات فساح عن الأعينِ

وتصحو المدينةُ ظمأى وتبحث عن امسها
وماذا تبقّى سوى الدم والملح في كأسها ؟

نازك الملائكة